بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كلية العلوم الاسلامية- قسم العقيدة والفكر الاسلامي.

محاضرات في علم الكلام المعاصر. المرحلة الرابعة \ المحاضرة الثامنة

جمع وترتيب: د. محمد خليل ابراهيم.

العلاقة بين التجديد والاجتهاد.

يُعدّ الاجتهاد في الفقه والتجديد في الدين من النعم التي لا تُعد على هذه الأمة ، لا بل التجديد في الدين سنة الله في خلقه من لدن آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو من كمال منّته عليهم، وأما الاجتهاد في الفقه فخصيصةُ رحمةٍ لأمة محمد صلى الله عليه وسلم.
الاجتهاد: استفراغ وسع المجتهد وبذل جهده في تحصيل حكم ظنّي، وهو دليل على حيوية الفقه وجاهزيته في مواجهة النوازل، وهو من السنن النبوية التي ندب إليها النبي ﷺ حتى عُدّ من فروض الكفاية، ودرّب النبي ﷺ عليها أصحابه فاجتهدوا في حياته، كما اجتهدوا بعد مماته: فجمعوا القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه، واجتهد أبو بكر في قتال المرتدين، واجتهد عمر في تحقيق مناط كثير من الأحكام، كعدم إعطاء المؤلفة قلوبهم من سهم الصدقة، ووقف العمل بعقوبة حدّ السرقة عام المجاعة، وغيرها كثير. كما اجتهد عثمان وعلي وجمع من الصحابة، واجتهد بعدهم التابعون والأئمة الأربعة ومن بعدهم، واستم الاجتهاد إلى يومنا هذا... وكان ذلك كله ضمن منهجية علمية اعتمدت على اللغة في تفسير النصوص وعلى النصوص والحوادث وأماكن وأسباب نزولها والنظر في المقاصد، وهو دليل – كما ذكرنا- على حيوية الفقه وقدرته على مجاراة الحياة في ناحية تشريع الأحكام في ما لا نص فيه بالاعتماد على الأصول....

وأما التجديد، فهو يأتي ليجدّد حياة الأمة كاملة وفي جميع المناحي وعلى جميع الأصعدة، فيبعثها من جديد، من خلال العودة بها إلى أصولها، فينفض الغبار عنها ويدفعها إلى مقدمة الركب، وقيادة الأمم ، وبذلك نستطيع القول ان كل مجدد مجتهد وليس كل مجتهد مجدد.

العلاقة بين التجديد والبدعة.

قبل الدخول في بيان هذه العلاقة لابد من التعريف بالبدعة من حيث اللغة والاصطلاح.

البدعة لغة. الامر المحدث الذي لم يسبق له نظير.
اصطلاحا. ما احدث في دين الله وليس له اصل عام او خاص يدل عليه.
عرفنا سابقا ان التجديد ليس تغييراً في حقائق الدين الثابتة القطعية، ولكنه مجرد تعديل لأوضاع الناس وسلوكهم حسب ما يقتضيه هذا الدين، أما البدعة وإن كانت في حسبان المبتدع تجديداً، إلا أنها إماتة للسنة، فالتجديد في الدين يعني إعادة نظارته وبهائه وإحياء ما أندرس من سننه ومعالمه ونشره بين الناس، وقد جاء ذم البدعة في أحاديث كثيرة.. منها قول النبي ﷺ :من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" أخرجه البخاري ومسلم. وقول ﷺ: كل بدعة ضلالة..
وهناك آثاراً للبدع، منها فساد طبيعة المبتدع، واتباعه للمتشابه، وإماتة السنة، والجدل بغير الحق، والخصومات في الدين، وعدم التقيد بشرع الله، واتباع الهوى، ومفارقة جماعة المسلمين، وشق عصا الطاعة.
اذن العلاقة بين التجديد والبدعة علاقة تباين ومقابلة وذلك للأمور الاتية:

١. الابتداع اختراع واحداث ، بينما التجديد إعادة وإحياء.
٢. الابتداع إلصاق ما ليس من الدين به، والتجديد تنقية للدين من العناصر الدخيلة عليه.
٣. الابتداع تحريف للدين، والتجديد تصحيح لذلك التحريف.
٤. الابتداع مذموما شرعا ومحارب، أما التجديد ممدوح ومستحسن.

العلاقة بين التجديد والعرف.
ان اصحاب التجديد المنحرف لطالموا سوغوا ضلالاتهم بحجة العرف ،ويستصحبون لذلك قاعدة شهيرة تقول: (لا ينكر تغير الاحكام بتغير الأزمان) ليصلوا في النهاية الى نتيجة مفادها إقرار الواقع المنحرف والرضى بكل ما أفرزته الحضارة المادية، وان ذلك لا يتعارض مع روح الاسلام وجوهره. وقبل الدخول في بيان هذه العلاقة لابد من تعريف العرف وبيان اقسامه.
العرف لغة. بالضم، هو المعروف خلاف المنكر، وهو ما تعارف عليه الناس في عادتهم ومعاملاتهم.
اصطلاحا. هو ما تعارفــه الناس وساروا عليه من فعل أو قول أو ترك ويسمى العادة.
ينقسم العرف باعتبار الشمول إلى قسمين:

- العرف العام وهو: ما يتعارف عليه أهل الأقاليم الإسلامية في عصر معين ووقت من الأوقات مثل: الطلاق والزواج والتجارة والحرف اليدوية وضيافة الغريب وغير ذلك.
- العرف الخاص وهو: ما يتعارف عليه أهل مدينة وبلد وقرية معينة كمهر الزواج، وكإطلاق بعض المسميات على شيء معين مثل: إطلاق لفظ المكتل على محمل التمر وإطلاق لفظ الصاع على مقياس معين من الشيء المكيل وغير ذلك.

وهناك نوعان من العرف من ناحية الوقوع والحدوث وهي:

- عرف عملي: مثل اعتياد الناس البيع على صفة معينة من غير كلام فقط قبض وأخذ.
- عرف قولي: مثل إطلاق لفظ السيارة على المركبة ذات الأربع عجلات وإطلاق لفظ الماشية على الغنم دون غيرها ونحو ذلك.

أقسام العرف من حيث الاعتبار في الشرع:

وينقسم هذا الاعتبار إلى قسمين: العُرف الصحيح والعُرف الفاسد، وفيما يلي بيان هذين القسمين:

١. العُرف الصحيح :وهو ما تعارفهُ أكثرية الناس من قول أو فعل ، شهد له دليل الشرع بالاعتبار. والمثال على هذا الأمر: وجوب النفقة والكسوة بالمعروف

٢.العُرف الفاسدُ :ما يتعارف الناس عليه بما يُخالف الشرع، أو ما يجلب الضر أو يُفوت النفع. ومثاله على ذلك: القروض الربوية.

ومما تقدم نستطيع ان نخرج بنتيجة مفادها: ان من معاني التجديد انزاله على الواقع، ومواكبة أحكامه لكل ما جد ويجد من احوال الناس باختلاف الزمان والمكان والبيئات ولاشك أن مراعاة الشارع للصحيح من أعراف الناس يمنح المجتهدين قدرة عل أيجاد الحلول الشرعية لما يطرأ على الناس من مشكلات، ويعطي الشريعة خصوبة وحيوية وصلاحية لكل زمان ومكان ، إذ يعاملهم الشارع بمقتضى ما يعرفونه من الفاظ وأفعال.